حقوق الشباب وحرياتهم السياسي في فكر الإمام الخميني (قدس سره)

نبيل اليعقوبي

تعتبر فترة الشباب من أروع فترات عمر الإنسان؛ لأنّها الفترة التي تعبّر عن اكتمال الاستعدادات النفسية والفكرية والروحية والجسدية التي وهبها الله تعالى للإنسان وأوجدها في خلقته، حيث تكون الإمكانات كبيرة، وغالباً ما تكون القدرة على الفعل ناشطة ومتحفزة، والاندفاع على أشده للانخراط في خضم الحياة بكل ما فيها من تفاصيل ومجريات وأحداث متنوعة. وهذا ما يجعل الاهتمام بالشباب وتوعيتهم على أساس الضوابط الإسلامية الأصيلة، ينتج شباباً ملتزماً واعياً ومنفتحاً على الحياة بكل تعقل وحكمة واتزان.

بناء على ذلك كان أولى الناس بالتنبيه إلى الأخطار المحدقة بالشباب على مستوى توجهاتهم وسلوكياتهم هم قادة الأمة الإسلامية، وأولياء أمورها الذين جعلهم الله في موقع العين الساهرة والراعية للأمة، وهذا ما انتهجه مفجر الثورة الإسلامية وإمام الأمة الإمام الخميني(رض) الذى أدرك باكراً أخطار الثقافة المنحرفة على الشباب عموماً والمسلم خصوصاً، وضرورة الدفاع عن حقوق الشباب والاعتناء بهذه الشريحة في كافة المجالات، لاسيما في مجال التركيز على الوعي السياسي من خلال الاهتمام بحقوقهم السياسية ورعاية حرياتهم في تقرير المصير، وحرية التصويت، وحرية التعبير وغير ذلك من الحريات؛ ولذا ترك لنا ذلك الإمام العظيم والراحل الكبير تراثاً مهماً في هذا المجال، نأخذ منه قبسات لكي تكون دليلاً لنا ومرشداً في عملية بناء الشاب المؤمن الملتزم الواعي.

حقوق الشباب وحرياتهم في الإسلام

الشريعة الإسلامية تولى الشباب أهمية بالغة ومكانة عظيمة، وتجعلهم قادرين على تحمل المسؤولية، وهذا المعنى نابع من الوظيفة التي خصها الشارع المقدس بالشباب كما ورد عن رسول الله(ص) حيث قال: (إن أحب الخلائق إلى الله عزوجل شاب حديث السن في صورة حسنة، جعل شبابه وجماله لله وفي طاعته، ذلك الذى يباهي به الرحمن ملائكته يقول: هذا عبدي حقاً.(فإننا

نستشف من هذا الحديث البعد الإنساني والتربوي الذي يقدمه الإسلام لجيل الشباب. كما جاء في حديث قدسى أشار فيه الرسول الأكرم(ص) إلى المكانة المرموقة التي يحتلها الشاب بقوله: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله). وهو يدل على أن الله تعالى جعل الشاب الملتزم في دوره وأهميته بعد الحاكم العادل في المجتمع من حيث التأثير والقوة والعطاء وترسيخ مبادئ السماء.

رؤية الامام الخميني الى الشباب

رؤية الإمام إلى الشباب على أنّه قوة، وعطاء، وثورة، هي رؤية منبثقة من جوهر الدين والقرآن والسنّة النبوية الشريفة؛ لذا فإن الإمام الخميني(رض) يخاطب الشباب قائلاً: (عليكم أيها الشبان أن تأخذوا بنظر الاعتبار الأصالة الإسلامية في تحقيق ودراسة حقائق الإسلام في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وأن لا تنسوا ما يتميز به الإسلام عن بقية الأديان). هذا الخطاب يبين أنّ الإمام يحول أنظار الشبان نحو الأصالة الإسلامية، ويشد انتباههم إلى الإسلام المحمدي الأصيل، ويدعوهم إلى دراسة وفهم حقائق الإسلام. وهي دعوة إلى الإيمان المطلق بالله تعالى، والتمسك بالمباني الاعتقادية الأساسية التي

تجعله يضحي بكل ما يملك في سبيل الله وللله. كما كان سماحته يدعو الشباب إلى التركيز على المدرسة الإسلامية القائمة على الدستور الإسلامي الخالد ويقول: (حذار من الخلط بين القرآن المقدس قانون الإسلام المنقذ، وبين المدارس الخاطئة المضللة التي هي إفرازات فكر البشر).

الاهتمام بحقوق الشباب في فكر الإمام الخميني (قدس)

يؤكد الإمام الخميني(رض) على حث جميع القوى من أجل خدمة الشباب، يقول سماحته: (أوصي جميع علماء البلد، سواء في القرية أو المدن أو في أي مكان هم، أن يرغبوا هؤلاء الشبّان، وأن يذهبوا اليهم، أن يتكلموا معهم، يلاطفوهم.. .هؤلاء

الشباب الذين أنفقوا جميع قواهم لأجل خدمة الإسلام وخدمة هذا البلد.

ومن أبرز مصاديق الاهتمام بالشباب الحفاظ على حقوقهم السياسية لا سيما الإسهام في الحكم وفي إدارة الشؤون العامة على جميع المستويات وتولّي الوظائف العامة على قدم المساواة؛ ولذلك كان الإمام الخميني(رض) يركز على أهمية الوعي السياسي

لدى شريحة الشباب، وإدراك ما يجري من حولها من أحداث ومؤامرات وأن تقرأ تفكير عدوه بطريقة صحيحة تستشرف بها المستقبل والأهداف؛ لتتمكن من المساهمة الفعلية في صنع القرار وإبداء الرأي بحرية تامة مقرونة بالوعي دون الوقوع بالسذاجة السياسية.

تربية الشباب وتعليمهم

من المعلوم أن الإسلام قد اعتبر التربية والتعليم من العناصر الأكثر فاعلية في تكوين شخصية الشاب الملتزم، كما روى عن رسول الله(ص) أنه قال: (من تعلم في شبابه كان بمنزلة الرسم في الحجر، ومن تعلم وهو كبير كان بمنزلة الكتابة على وجه الماء.)

فمن خلال العلم والتربية بالشكل الصحيح يصبح الشاب مؤمناً ملتزماً يواظب على ممارسة واجباته الدينية، ويقوي علاقته بالله سبحانه لكي يمنحه القوة لمواجهة إغراءات الحياة وأخطارها على دينه وتوجهاته السليمة؛ ولذا فإن رسول الله(ص) يقول: (فضل الشاب العابد الذى تعبَّد في صباه على الشيخ الذي تعبَّد بعدما كبرت سنّه كفضل المرسلين على سائر الناس.

وتتأكد أهمية عنصر العلم والتربية في هذا الزمن بالخصوص، حيث الفساد منتشر وعام وله أشكال وصور مختلفة وأساليب إغرائية ترمي الشباب بسهامها الطائشة المسددة بإرادة المستكبرين العابثين بمصير البشرية عموماً والشباب خصوصاً؛ لأنّهم بذلك يجعلون الشباب منغمسين في قضايا الشهوة واللذة، فمن المتع الجنسية الرخيصة إلى المخدرات التي تفتك بالكثير من الشباب، وغير ذلك كثير من أساليب الانحراف التي يستعملها ويستغلّها أعداء الشعوب ومصاصو دمائها وخيراتها.

حارب الإمام(رض) هذه الظاهرة من خلال حث الشباب على التربية الصالحة، والتركيز على تدريس الثقافة الإسلامية، ومحاربة مظاهر الفسق والفساد، باعتبار أن (الإسلام جاء لتربية الإنسان، فالمهم في البرنامج الإسلامى هو الإنسان والتربية الإنسانيّة). وأن (العقيدة الإسلاميّة هى عقيدة صياغة الإنسان). وهو ما يؤكد عليه الإمام في أكثر من مناسبة فيقول: (عليكم بالحرص على التربية، فالتربية هي المهمة، العلم وحده مضر ولا فائدة منه.

يجب أن يربّي الشباب على روح الكرامة والمساواة بين جميع البشر دون أي تمييز بسبب العرق أو اللون أو الأصل أو المعتقد، وعلى احترام حقوق الإنسان الأساسية وحق الشعوب في تقرير مصيرها.

تثقيف الشباب

من جملة ما أكد عليه الإمام الخميني(رض) الاهتمام بتثقيف الشباب ثقافة إنسانية قائمة على الأسس الصحيحة؛ وذلك من خلال توجيه خطابه إلى جمهور العلماء والمربين الذي يدعوهم فيه إلى تثقيف الشباب وتوعيتهم؛ من أجل بناء شريحة شبابية تعي القيم والمبادئ والأهداف الإسلامية الراقية؛ لأنّ الشاب إذا تلقى ثقافته من مصادرها الحقيقية ومثّلها واقعاً معاشاً، تجعل منه شخصية نموذجية، وقدوة تترك تأثيراتها وانعكاساتها في جميع جنبات الحياة؛ لذا فإن الإمام أكد على كون الجيل الصاعد هو أمانة في أعناق المعلمين وقال: إن هؤلاء الناشئين الذين يمثّلون أمل الوطن الإسلامي هم أمانات بيد المعلمين.

ويبدأ الإصلاح من الثقافة التي ينطلق من خلالها الإنسان ليتبنى خياراته في هذه الدنيا ويسير على منهج يتناسب مع ما يحمله من ثقافة، يقول الإمام الخميني (رض): (إن طريق إصلاح بلد ما هو ثقافة ذلك البلد، الإصلاح يجب أن يبدأ من الثقافة.) ويقول سماحته: الثقافة مبدأ جميع سعادات وشقاوات الأمة، إذا صارت الثقافة غير صالحة فهؤلاء الشباب الذين يتربّون على الثقافة غير الصالحة، هؤلاء سيوجدون الفساد، فالثقافة الاستعمارية تعطى البلد شاباً استعمارياً.

والعلم هو صاحب الدور الريادى في تأسيس شخصية الشاب وتكوين ثقافته، هذا العلم الذي يكون النصيب الأوفر فيه أيام الشباب، (إذا ذهبت أيام الشباب فبعد ذلك لا تظنّوا أنّكم تستطيعون العبادة والتحصيل لآخر العمر؛ في آخر العمر الإنسان لا يستطيع العبادة، ولا يستطيع التحصيل، ولا أفكاره أفكار قوية مستقيمة كى يستطيع إدراك المطالب العلمية.)

يرى الإمام الخميني(رض) أن من أهم موانع حرية التعبير إضرارها بوضع الناس ومصالحهم، فإذا كان الحديث عن أمر لا يصب في صالح الشعب، ويستتبع حصول مفاسد ما، فإن الحديث عن ذلك الأمر غير جائز؛ لذا كلما كان بيان الآراء يصب في مصلحة الشعب، فهو جائز، وللناس أن يمارسوا حرية التعبير في ذلك. وقد أجاب سماحته في الأيام الأولى للانتصار على سؤال عن حدود حرية التعبير، فقال: (إذا لم يكن مضراً بالناس فبإنه حر، وليس حراً التعبير عن أشياء تضر بالناس.

ويؤكد الإمام الخميني(رض) عندما تقرأون الصحف فانكم كثيراً ما تشاهدون فيها أن هذا يسيء إلى ذاك وذاك يسيء إلى هذا

والآن بعد تحرر الأقلام فهل صحيح أن يتحدث كل إنسان بما يشاء تجاه الآخرين؟ وأن يتصرف كل واحد مع الآخر بحيث تدب الفوضى

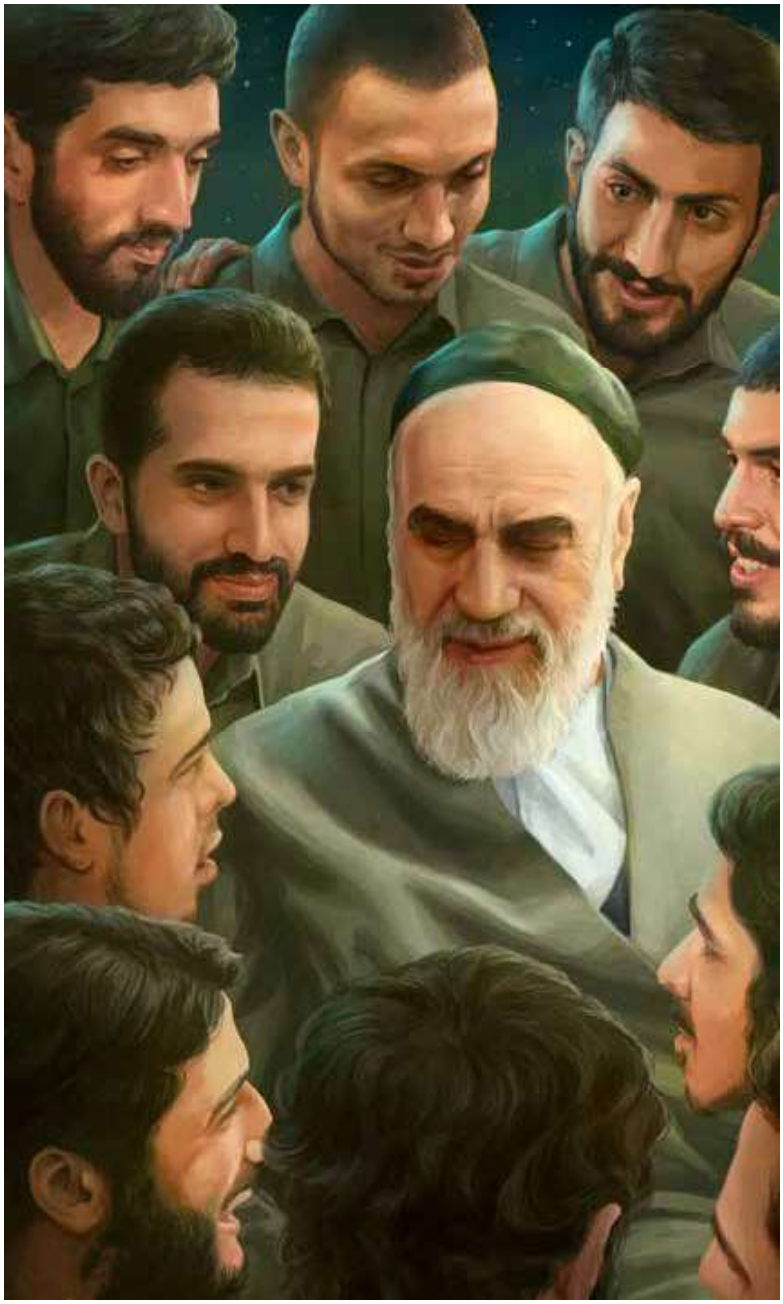

في البلاد وتخرج من النظام؟ هذا هو معنى الحرية؟ هل الحرية في تلك البلدان التي تريد نهبنا هي على هذه الشاكلة؟ لو كانت هكذا لما حصل الانسجام ولما تطورت، إنّهم يريدون من خلال كلمة الحرية التي يلقونها في عقول الشباب أن يفرضوا سلطتهم عليكم ويسلبوا حريتكم).

لقد أولى الإمام الخميني(رض) اهتماماً كبيراً لدور الشباب في تقرير مصيرهم وجسد هذا المبدأ تجسيداً حياً من خلال فسح المجال لشريحة الشباب في انتخاب الحكومة والتصويت على دستور الجمهورية الإسلامية الذى يعتبر تجربة رائدة ورائعة يفرزها التاريخ الإسلامي الحديث، كما كان الإمام الخميني(رض) يدفع بشريحة الشباب نحو المشاركة السياسية وإدارة دفة العمل السياسي المقرونة بالوعي الديني والنظرة الإسلامية الصحيحة، دون الإفراط بالحرية والقيم الإنسانية، يقول سماحته: «عليكم أيها الشبان أن تأخذوا بنظر الاعتبار الأصالة الإسلامية في تحقيق ودراسة حقائق الإسلام فى المجالات السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية وغيرها، وأن لا تنسوا ما يتميز به الإسلام عن بقية الأديان.

حرية التعبير وضرورة مواجهة المؤامرات

من الأمور الأخرى التي أكد عليها الإمام الخميني(رض) رفض التآمر، والتحرز من استخدام حرية التعبير للتآمر. فحرية التعبير إذا كانت جزءاً من مؤامرة عندها تكون مرفوضة وتمنع، ومادامت حرية التعبير لا تهدف الى مؤامرة أو عمل تخريبي فلا مانع منها، بل تكون حينها حقاً أساسياً من حقوق المجتمع، لاسيما الشباب؛ وهذا ما أشار له الإمام الخميني(رض) بقوله: (عملاء الإستعمار الذين يدركون أن معرفة الشعوب خصوصاً جيل الشاب المتعلم بمبادىء الإسلام المقدسة, تؤدي إلى طرد المستعمرين وزوالهم الحتمي، وقطع أيديهم عن مصالح الشعوب المستعمرة فهم يحاولون عبر بث السموم وتشويش أذهان الشباب وأفكارهم، إلى الحيلولة دون جلاء الصورة المشرقة للإسلام, ويعملون على حرف شبابنا بعناوين خداعة ومدارس فكرية منمقة.

ويؤكد الإمام الخميني على إن حرية التعبير موجودة في الإسلام منذ البداية، منذ عهد أئمتنا عليهم السلام بل في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كانت الحرية موجودة، وكانوا يطرحون آراءهم. إننا نمتلك الحجة... ومن يمتلك الحجة لا يخشى حرية التعبير، لكننا لن نسمح بالتآمر. نلاحظ أمران أساسيان في هذه العبارة الأول أن الإمام يفصل بين حرية التعبير والتآمر، فسيستنكر التآمر ويؤيد حرية التعبير. والثانى أن الإمام اعتمد على ثبات وقدرة استدلال الحكومة الإسلامية، وحرية التعبير لن تهز ثباتها هذا، بل تعمل على تقويتها.

كما تتوثب روح الإمام الشابة أبداً، لدى الحديث مع الشباب، لتفصح عن الآمال الكبار التي يعقدها عليهم: (أعزائي، شمروا عن ساعد الجد، ومزقوا أغلال العبودية واحداً تلو الآخر واطردوا من الساحة العملاء الخونة، واقطعوا أيدي أسيادهم الجشعين التي امتدت إلى البلاد الإسلامية. السعادة والحرية والاستقلال خلف سد العملاء المحليين وأسيادهم في الخارج، دمروا السدود، وحطموها.

أخيراً بقي أن نشير الى أن الامام الخميني آمن بجيل الشباب لكونهم أمل الأمة الإسلامية، حيث خاطبهم بلغة الإمام القائد الثائر تارة، وأخرى بلغة الأب العطوف، ومرة بلغة المعلم والمرشد والحاضن الذي رأى في هذه الثلة الأمل الموعود في رسم آفاق الغد، والقدرة على التصدي لمخططات ومؤامرات الأعداء من قوى الشرق والغرب؛ لكونه يعلم أنَ الطاقة التي تنبعث لدى الشباب يمكنها أن تخلق تحولاً كبيراً في واقع الحياة؛ نتيجة لما يمتلكه الشاب من قدرات كامنة تبعث على نهضة شاملة نحو الثورة والعطاء.

و كان الإمام(رض) يسعى بشكل جاد من أجل تحقيق حرية الشباب وتأمين حقوقهم، فلم يكن يألوا جهداً في الدعوة إلى حرية النشاط السياسي والاجتماعي للشريحة الشبابية، البعيد عن الوقوع في أحضان الأعداء والمستغلين ومثيرى الفتن ومدبرى المؤامرات ضد النظام. وبالفعل فقد برهن الشباب على الحضور الفاعل والبناء في جميع المواقع، من خلال التحركات التي تظهر ارتباطهم بالدين والثورة؛ مما جعل ذلك يثير حنق وغيظ المنافقين وأعداء الإسلام، وما ذلك إلا ببركة اهتمام الإمام(رض) بالشباب على المستوى النظري والعملي، وببركة دعائه لهم بحسن الإيمان والصلاح والاستقامة والثقة بالله والتوكل عليه، وبالتوفيق لبناء الأمة الإسلامية فهم الأمل للمستقبل الواعد لهذه الأمة العظيمة.